البحث الثالث

البعد القرآني

في كلمات الإمام الهادي عليه السلام

أ.م.د. خولة مهدي شاكر الجراح

كلية الفقه/ جامعة الكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

القرآن هو المصدر الأول للإسلام، وأقدس كتاب لدى المسلمين، وخاتم الكتب السماوية، وبه تثبت نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وبه تقوم الحجة على الناس جميعاً إلى يوم القيامة بالتزام الإسلام ديناً، لأنه معجزة في كل وجه من وجوهه، وحال من أحواله، بداية ما نزل منه كآخر ما انتهى إليه، ووسطه كطرفيه نسيج فريد ونسق واحد، ومستوى شاهق. فهو كما عبّر عنه الإمام الرضا عليه السلام: «إنه المهيمن على الكتب كلها، وأنه حق من فاتحته إلى خاتمته، نؤمن بمحكمه ومتشابهه، وخاصه وعامه، ووعده ووعيده، وناسخه ومنسوخه، وقصصه وأخباره، لا يقدر أحد من المخلوقين أن يأتي بمثله»[1].

وإنَّ القرآن الكريم كان له عند أهل بيت النبوة بدءاً من الإمام علي عليه السلام ومروراً بفاطمة الزهراء عليها السلام ثم الحسن والحسين عليهما السلام والأئمة التسعة من ولد الحسين عليهم السلام مكانة أكبر ومنزلة أسمى فاقت ما لهذا الكتاب العظيم من المكانة والمنزلة عند غيرهم من المسلمين، فهذا أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول في شأن القرآن موجهاً أنظار المسلمين إلى أهمية هذا الكتاب الإلهي المقدس: «الله الله أيها الناس فيما استحفظكم من كتاب»[2] وقال أيضاً: «عليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين، والنور المبين، والشفاء

(١) الصدوق، عيون أخبار الرضا: ٢/ ١١٢.

(٢) نهج البلاغة: ٢/ ١٤٩.

النافع والري الناقع، والعصمة للمستمسك، والنجاة للمتعلّق، لا يُعوج فيقام، ولا يزيغ فيستعتب»[١].

وها هو الإمام الهادي عليه السلام يركز في العديد من فقرات حديثه على ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم، ففي حديثه في مسألة إبطال الجبر والتفويض- في الرسالة الذهبية التي بعثها لأهل الأهواز رداً على فكرة (الجبر) التي تبنتها الأشاعرة، والتفويض الذي قال به المعتزلة، حيث كشفت فقرات الرسالة عن مدى الاختلاف الخطر الناشيء بين المسلمين بسبب هذه المسائل- يؤكد الإمام عليه السلام على ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم بقوله: «.. وقد أجمعت الأمة قاطبة، لا اختلاف بينهم: أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق، وفي حال اجتماعهم مقرون بتصديق الكتاب وتحقيقه، مصيبون، مهتدون، وذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلَّها حق، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً. والقرآن حقّ لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه، وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب، فإذا جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملة»[٢].

وقد جاء تركيز الإمام عليه السلام على ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم- الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه- فيما اختلفت فيه الأمة من نزعات فكرية، وعقائد مذهبية، فما وافق منها الكتاب فهو حقّ لا ريب فيه، وما خالفه فهو زخرف وباطل، ومن دان به فهو خارج عن ربقة الإسلام.

هنالك لقطات فنية في كلمات الإمام عليه السلام الأخرى اشتملت على قبسات لامعة من أضواء القرآن الكريم، وهي متعددة الروافد، سوف يوجز البحث بعضاً منها:

(١) المصدر نفسه: ٢/ ٤٩؛ هادي النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت: ١/ ٣٣٧ .

(٢) ابن شعبة، تحف العقول: ٤٥٨، ٤٧٥.

أولاً: إجابات الإمام عليه السلام على مسائل يحيى بن أكثم

من أبرز كلمات الإمام الهادي عليه السلام ذات البعد القرآني ما جاء في إجاباته لقاضي القضاة يحيى بن أكثم في مسائله التي وجهها للإمام وأعدّها لامتحانه، فما كان من الإمام إلا أن نهد للإجابة وأمر ابن السكيت أن يكتب أجوبته مع علمه أن الغرض وراء ذلك سياسي محض قصد به التعنت لا الإفادة[١]، حيث كتب الإمام:

«بسم الله الرحمن الرحيم

وأنت، فألهمك الله الرشد، أتاني كتابك فامتحنتنا به من تعنتك لتجد إلى الطعن سبيلاً إن قصرنا فيها، والله يكافيك على نيتك، وقد شرحنا مسائلك فاصغِ إليها سمعك وذلل لها فهمك، وأشغل بها قلبك، فقد لزمتك الحجة والسلام»[٢].

وهنا نجد الإمام قد أدرك السرَّ من وراء هذه المسائل فوصف ابن أكثم بالتعنت، وبين هدفه منها لغرض الطعن ومع ذلك فهو يجيب فيها بما يفحمه ويدعه باهتاً.

وفيما يأتي عرضُ ما جاء في هذه المسائل من بعد قرآني:

١- يقول الإمام عليه السلام: «سألت عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ...**﴾»[٣].

حيث قال الإمام علي الهادي: فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفة ما عرف آصف، لكنه صلوات الله عليه أحبّ أن يعرّف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده، وذلك من علم سليمان أودعه عند آصف بأمر الله، ففهّمه ذلك لئلا يُختلف عليه في إمامته ودلالته، كما فهّم سليمان في حياة داود لتعرف نبوته وإمامته

(١) محمد حسين علي الصغير، موسوعة أهل البيت الحضارية - الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢١٧.

(٢) ابن شعبة، تحف العقول: ٤٧٧- ٤٨١، ابن شهر آشوب، المناقب: ٣/ ٤٤٣.

(٣) سورة النمل: ٤٠.

من بعده، لتأكد الحجة على الخلق)[١].

وفي إجابة الإمام الهادي هذه دلالة إيحائية تشير إلى إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، إذ أن آصف عنده بعض علم الكتاب بدلالة (من) في قوله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ**﴾ أما أمير المؤمنين الإمام علي فعنده علم الكتاب كله، فكما أراد سليمان أن لا يُختلف على آصف في إمامته ووصايته، فكذلك الرسول الأعظم فيما عهد به إلى أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن لا يختلف عليه في إمامته ووصايته[٢].

٢- سأل ابن أكثم عن قوله تعالى: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا**﴾[٣]

فأجاب الإمام الهادي عليه السلام: (إن سجود يعقوب عليه السلام وولده كان طاعة لله ومحبة ليوسف، كما أن السجود من الملائكة لآدم عليه السلام لم يكن لآدم، وإنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم عليه السلام، فسجود يعقوب وولده ويوسف معهم كان شكراً لله باجتماع شملهم، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ**﴾[٤]»[٥].

٣- سأل يحيى بن أكثم عن قوله تعالى:﴿**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ..**﴾[٦].

وقال الإمام علي الهادي بعد ذكر الآية: «فإنَّ المخاطب به رسول الله، ولم يكن في شك مما أنزلنا إليه ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة، إذا لم

(١) ابن شعبة/ تحف العقول/ ٤٧٧- ٤٨١، ابن شهر آشوب/ المناقب/ ٣/ ٤٤٣.

(٢) محمد حسين علي الصغير، موسوعة أهل البيت الحضارية - الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢١٧.

(٣) سورة يوسف: ١٠٠.

(٤) سورة يوسف: ١٠١.

(٥) ابن شعبة/ تحف العقول/ ٤٧٧- ٤٨١، ابن شهر آشوب/ المناقب/ ٣/ ٤٤٣.

(٦) سورة يونس: ٩٤ .

يفرّق بين نبيه وبيننا في الاستغناء عن المآكل والمشارب والمشي في الأسواق؟

فأوحى الله إلى نبيه ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾ بمحضر الجهلة: هل بعث الله رسولا قبلك إلا هو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ ولك بهم أسوة، وإنما قال: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾، ولم يكن في شك، ولكن للمنفعة، كما قال: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١].

ولو قال (عليكم) لم يجيبوا إلى المباهلة، وقد عَلِمَ الله أن نبيه يؤدي عنه رسالته وما هو من الكاذبين، فكذلك عرف النبي أنه صادق فيما يقول، ولكن أحب أن ينصف من نفسه»[٢].

٤- وسأل يحيى بن أكثم عن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ..﴾[٣].

فأجاب الإمام علي الهادي عليه السلام بعد ذكر الآية بقوله :

«فهو كذلك، لو أن أشجار الدنيا أقلام، والبحر يمده سبعة أبحر، وانفجرت الأرض عيوناً، لنفدت قبل أن تنفد كلمات الله...»[٤].

والأبحر هي: عين الكبريت، وعين اليمن، وعين برهوت، وعين الطبرية، وحمة ماسيدان تدعى لسان، وحمة أفريقية تدعى سيلان، وعين باحوران[٥].

(١) سورة آل عمران: ٦١ .

(٢) ابن شعبة/ تحف العقول/ ٤٧٧- ٤٨١، ابن شهر آشوب/ المناقب/ ٣/ ٤٤٣.

(٣) سورة لقمان: ٢٧ .

(٤) ابن شعبة/ تحف العقول/ ٤٧٧- ٤٨١، ابن شهر آشوب/ المناقب/ ٣/ ٤٤٣.

(٥) ظ: باقر شريف القرشي/ موسوعة سيرة أهل البيت/ ٣٣/ ٢٩٨.

٥- وسأل يحيى بن أكثم عن قوله تعالى: ﴿**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ..**﴾[١] فاشتهت نفس آدم أكل البر، فأكل واطعم وفيها ما تشتهي الأنفس فكيف عوقب؟ فأجاب الإمام علي الهادي عليه السلام: «وأما الجنة فان فيها من المآكل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وأباح ذلك كله لآدم والشجرة التي نهى الله عنها ادم وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد، عهد إليهما أن لا ينظرا إلى ما فضل الله على خلائقه بعين الحسد ﴿**فنَسِي ولَم نَجِد لَه عَزماً**﴾[٢]»[٣].

٦- وسأل يحيى بن أكثم عن قوله تعالى: ﴿**أو يُزوجهم ذُكراناً وإناثاً**﴾[٤].

يزوج الله عباده الذكران، وقد عوقب قوم فعلوا ذلك؟

فأجاب الإمام عليه السلام بعد ذكر الآية: «أي يولد له ذكور، ويولد له إناث، يقال لكل اثنين مقرنين زوجان، ولكل واحد منهما زوج. ومعاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبّست به على نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم ﴿**وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا**﴾[٥]»[٦].

وفي الإجابة تعريض مهذّب بيحيى بن أكثم كما لا يخفى.

(١) سورة الزخرف: ٧١.

(٢) سورة طه: ١١٥.

(٣) ابن شعبة/ تحف العقول/ ٤٧٧- ٤٨١، ابن شهر آشوب/ المناقب/ ٣/ ٤٤٣.

(٤) سورة الشورى: ٥٠.

(٥) سورة الفرقان: ٦٨- ٦٩.

(٦) ابن شعبة/ تحف العقول/ ٤٧٧- ٤٨١، ابن شهر آشوب/ المناقب/ ٣/ ٤٤٣.

ثانياً: استنباط الأحكام الشرعية من القرآن الكريم

قد يفيد الإمام الهادي عليه السلام من القرآن الكريم حكماً شرعياً أشكل على بعض الفقهاء علمه، واستعصى على بعض العلماء حكمه، وفيما يأتي يعرض الباحث لبعض من ذلك:

١- عن العياشي بإسناده عن حمدويه عن محمد بن عيسى قال سمعته يقول: كتب إليه (يعني الإمام الهادي) إبراهيم بن عنبسة. إن رأى سيدي ومولاي أن يخبرني عن قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...﴾[١] في الميسر، جعلت فداك.

فكتب عليه السلام: «كل ما قومر به فهو الميسر، وكل مسكر حرام»[٢].

٢- كما أفاد الإمام من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾[٣] أحد مصاديق الشيء الكثير.

فعن أبي عبد الله الزيادي: لما سمَّ المتوكل نذر لله إن رزقه الله العافية أن يتصدق بمال كثير، فلما عوفي اختلف الفقهاء في المال الكثير، فقال له الحسن حاجبه: إن أتيتك يا أمير المؤمنين بالصواب فما لي عندك؟ قال عشرة ألاف درهم وإلا ضربتك مائة مقرعة، قال:قد رضيت، فأتى أبا الحسن عليه السلام فسأله عن ذلك فقال: قل له يتصدق بثمانين درهماً.

فأخبر المتوكل، فسأله: ما العلة؟ فأتاه، فسأله، فقال: «إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ فعددنا مواطن رسول الله صلى الله عليه وآله، فبلغت ثمانين موطناً، فرجع إليه فأخبره، ففرح. وأعطاه عشرة آلاف درهم»[٤].

(١) سورة البقرة: ٢١٩.

(٢) العياشي، تفسير العياشي: ١/ ١٠٦.

(٣) سورة التوبة: ٢٥.

(٤) الكليني/ الكافي/ ٧/ ٤٦٣.

٣- كذلك الحال في استيحاء الإمام عليه السلام مدرك الحكم الشرعي، فقد استفتاه المتوكل برجل نصراني فجر بامرأة مسلمة وأراد أن يُقيم عليه الحدّ فأسلم، فأفتى الإمام: يضرب حتى يموت.

فأنكر يحيى بن أكثم ذلك وقال: قد هدم إيمانه شركه وفعله. وطلبوا من المتوكل أن يكتب للإمام ويطلب منه مدرك الحكم[١]، فأجاب عليه السلام بعد البسملة:

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[٢])[٣]

فقد أبان الإمام من خلال القرآن أن إسلام الرجل قد أعلن في اللحظات الأخيرة خوفاً من الحدِّ الشرعي، وهو لا يقبل منه لأنه غير صادر عن حالة طبيعية.

٤- وعن أحمد بن محمد قال: قال أبو الحسن (يعني الإمام الهادي) في قول الله عزَّ وجلّ: **﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾**.

قال: «طواف الفريضة طواف النساء»[٤].

٥- في جواز كنية الكتابي:

فقد نادى المتوكل أحد أصحابه وكان نصرانياً، يا أبا نوح، فأنكر عليه بعض من حضره أن يكنى الكتابيون فاستفتى الفقهاء فاختلفوا، فبعث إلى الإمام الهادي يسأله فوقّع الإمام: **﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾**[٥].

(١) ظ: القرشي/ موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ٣٣/ ١٠٦.

(٢) سورة غافر: ٨٤- ٨٥.

(٣) الحر العاملي/ وسائل الشيعة/ ١٨/ ٣٣١.

(٤) الكليني/ الكافي/ ٤/ ٥١٢.

(٥) سورة المسد: ١.

فعلم المتوكل أنه يحلُّ ذلك؛ لأن الله قد كنّى الكافر[١].

٦- سأل أيوب بن نوح الإمام أبا الحسن الثالث عليه السلام فقال له: إن أهل العراق يقولون: إن الجاموس مسخ، ومعنى ذلك أنه لا يجوز أكله. فردّ عليه الإمام قائلاً: «أوما سمعت قول الله عزَّ وجلّ ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾[٢]»[٣].

٧- روى الحسن بن علي بن شعبة بسنده عن أبي الحسن الثالث عليه السلام، قال- في حديث له- «وأما الرجل الذي اعترف باللواط، فإنه لم يقم عليه البينة، وإنما تطوع بالإقرار على نفسه، وإذا كان للإمام الذي من الله أن يعاقب عن الله كان له أن يمن عن الله، أما سمعت قول الله: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٤].

وقد دلت هذه الرواية بوضوح على أن الإمام الشرعي المنصوب من قبل الله تعالى له أن يعفو عمن أقرَّ على نفسه باقتراف جريمة اللواط، كما أن له أن يعاقب على ذلك، ويختص العفو بهذه الصورة، أما من قامت عليه البينة بذلك فليس للإمام أن يعفو عنه[٥].

(١) محمد حسن آل ياسين/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ٦٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٤٤.

(٣) العياشي/ تفسير العياشي/ ١/ ٣٨٠، المجلسي/ بحار الأنوار/ ٦٢/ ١٨٠

(٤) سورة ص: ٣٩.

(٥) القرشي/ موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ٣٣/ ١٠٦.

ثالثاً: ما رواه عن آبائه في تفسير القرآن الكريم

لقد روى الإمام الهادي عليه السلام الكثير من الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام في مجالات متعددة، بعضها جاء في التفسير، منها:

١ – قال الإمام الهادي عليه السلام: «قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: **(فصبرٌ جميل)**[١] أي بلا شكوى»[٢] ولعل القرينة الدالة على ذلك هو وصف الصبر بالجميل.

٢ – قال الإمام الهادي عليه السلام: «قال الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾[٣]، قال: كانوا لا ينامون حتى يُصلّوا العَتَمَةَ»[٤].

٣ – قال الإمام الهادي عليه السلام: «قال الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿**فلنحيينَّه حياةً طيبةً**﴾[٥]، قال: المراد بها القنوع»[٦].

٤ – روى الإمام الهادي عليه السلام عن جده الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنه قال: «إن الله خلق الخلق فعلم ما هم إليه صائرون، فأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، وما جبر الله أحداً من خلقه على معصيته، بل اختبرهم بالبلوى كما قال الله تعالى: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[٧]»[٨].

---

(١) سورة يوسف: ١٨.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦٧.

(٣) سورة السجدة: ١٦.

(٤) الطوسي/ الأمالي/ ٢٩٤، المجلسي/ بحار الأنوار/ ٧٣/ ١٨٤.

(٥) سورة النحل: ٩٧.

(٦) الطوسي/ الأمالي/ ٢٧٥، المجلسي/ بحار الأنوار/ ٦٨/ ٣٤٥.

(٧) سورة هود: ٧.

(٨) الطبرسي/ الاحتجاج/ ٢/ ١٥٨، المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥/ ٢٦.

رابعاً: القرآن الكريم في أدعية الإمام الهادي عليه السلام.

إن أدعية أهل البيت عليهم السلام تمثل روعة التراث الإسلامي وأصالته، ومن خصائصها:

أ- إنها وضعت قواعد السلوك، وأصول الأخلاق، وما تزدهر به الشخصية من القوى الروحية الواعية.

ب- إنها تشتمل على وثائق سياسية خطيرة، فهي تمثل مدى الاضطهاد الذي مني به العالم الإسلامي في تلك العصور من قبل الحكام الأمويين والعباسيين الذين لم يألوا جهداً في ظلم الناس وإرغامهم على ما يكرهون.

ج- إنها تمثل انقطاع الأئمة إلى الله والتجاءهم إليه، وإنهم قد آمنوا به بمشاعرهم وعواطفهم وقلوبهم.

وسوف يعرض الباحث إلى بعض أدعية الإمام الهادي عليه السلام التي احتوت على آي من الذكر الحكيم:

١ - دعاؤه عند الشدائد

من أدعيته هذا الدعاء الشريف، وكان يدعو به إذا ألّمت به حادثة أو حلّ به خطب، أو أراد قضاء حاجة مهمة له[١] يقول فيه: «..اللهم دللت عبادك على نفسك فقلت تباركت وتعاليت **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾**[٢]، وقلت: **﴿يا عِبَادِيَ الذينَ أَسرَفُوا على أَنفسِهم لا تَقنِطوا من رَحمَةِ الله إنَّ اللهَ يَغفِرُ الذنوبَ جَميعًا إنَّه هو الغَفور**

(١) الطوسي، مصباح المتهجد: ٣٤٥.

(٢) سورة البقرة: ١٨٦.

الرحيم﴾[١]، وقلت: **﴿ولَقَد نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعمَ المُجِيبُون﴾**[٢]، أجل يا ربّ، نعم المدعو أنت، ونعم الرب، ونعم المجيب. وقلت: **﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾**[٣]»[٤].

٢- دعاؤه في الاحتجاب

جاء فيه: **﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾**[٥] و**﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾**[٦].

عليك يا مولاي توكلي وأنت حسبي وأملي **﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾**[٧])[٨].

٣- دعاؤه عليه السلام لدفع النحوس والمخاوف

جاء فيه: «فصلِّ اللهم على محمد وآل محمد، وأعذني اللهم بهم من شر كل ما أتقيه، يا عظيم حجزت الأعادي عني ببديع السماوات والأرض، إنا **﴿جَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾**»[٩][١٠].

(١) سورة الزمر: ٥٣.

(٢) سورة الصافات: ٧٥.

(٣) سورة الإسراء: ١١٠.

(٤) الطوسي/ مصباح المتهجد/ ٣٤٣- ٣٤٧.

(٥) سورة الإسراء: ٤٥- ٤٦.

(٦) سورة النحل: ٩٨-٩٩.

(٧) سورة الطلاق: ٣.

(٨) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٩١/ ٣٧٧.

(٩) سورة يس: ٩.

(١٠) الطوسي/ مصباح المتهجد/ ٩٢.

خامساً: الاقتباس القرآني في كلمات الإمام الهادي عليه السلام

الاقتباس لغة: الشعلة، يُقال: خُذ لي قبساً من نار.[١] وقال ابن فارس في مقاييس اللغة: (القاف والباء والسين أصل صحيح يدل على صفة من صفات النار، ثم يستعار من ذلك القبس: شعلة النار)[٢] كما ورد في قوله تعالى: ﴿**إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾[٣].

أما الاقتباس اصطلاحاً: هو أن يُضمَّن الكلام (شعراً كان أم نثراً) شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف[٤]. وقد عرّفه الرازي(ت٦٠٦هـ):(هو أن يضمن الكلمة من القرآن الكريم أو آية منه في الكلام تزييناً لنظامه وتفخيماً لشأنه)[٥]، وقد وسع العلّامة الحلبي (ت٧٢٥هـ) ذلك ليشمل الحديث الشريف، فيقول:(هو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث ولا ينبه عليه للعلم به)[٦]، وقد حصر بعض العلماء الاقتباس على القرآن الكريم وحده[٧].

وفيما يأتي بعضاً من المواضع التي اقتبس فيها الإمام من القرآن الكريم:

١ - حديثه في الردِّ على من قال بالتجسيم

أ- روى حمزة بن محمد، قال:(كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الجسم

(١) ظ: العين: الفراهيدي: ١/ ٣٨٣ .

(٢) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس: ٥/ ٣٩ .

(٣) سورة طه، الآية: ١٠.

(٤) ظ: الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني: ١/ ٣٨١.

(٥) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الرازي: ١٤٧.

(٦) حسن التوسل إلى صناعة الترسل: محمود الحلبي: ٣٢٣ .

(٧) أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم المدني: ٢/ ٢١٢ .

والصورة، فكتب عليه السلام: سبحان من ليس كمثله شيء، لا جسم ولا صورة)[١].

ب- روى إبراهيم بن محمد الهمداني، قال: (كتبت إلى الرجل ـ يعني أبا الحسن عليه السلام ـ إن من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول:جسم، ومنهم من يقول: صورة.

فكتب عليه السلام بخطه: سبحان من لا يُحدّ ولا يوصف، ليس كمثله شيء، وهو السميع العليم»[٢].

إن الله تعالى يستحيل أن ينعت بالحدِّ الذي تتكون منه حقائق الأشياء الممكنة، كما يستحيل أن يوصف بالأوصاف المستلزمة لتعدد الصفة والموصوف، فإن صفاته تعالى عين ذاته حسبما حققه المتكلّمون[٣].

نجد الإمام عليه السلام اقتبس كلامه من الآية الحادية عشرة في سورة الشورى

٢- حديثه في استحالة وصفه تعالى

أدلى الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام في حديث له مع الفتح بن يزيد الجرجاني أعرب فيه عن استحالة وصف الخالق الحكيم بصفة تحيط بكنهه وحقيقته، وقد جاء فيه:

«إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأنى يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلّ عمّا يصفه الواصفون، وتعالى عما ينعته الناعتون، نأى في قربه، وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد، كيّف الكيف فلا يقال كيف، وأيّن الأين فلا يقال:

---

(١) الصدوق/ التوحيد/ ٩٧ .

(٢) الصدوق/ التوحيد/ ١٠٠ .

(٣) القرشي/ موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ٣٣/ ١١٢.

أين، إذ هو منقطع الكيفية والأينية، وهو الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، فجلَّ جلاله».

وهنا الإمام عليه السلام اقتبس من قوله تعالى في سورة الإخلاص.

كذلك يشير الإمام عليه السلام إلى استحالة وصف النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام فيقول: «أم كيف يوصف بكنه محمد صلى الله عليه وآله، وقد قرنه الجليل باسمه، وشركه في عطائه، وأوجب لمن أطاعه جزاء طاعته إذ يقول: ﴿**وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ**﴾»[1].

وقال يحكي قول من ترك طاعته، وهو يعذبه بين أطباق نيرانها وسرابيل قطرانها: ﴿**يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا**﴾[2].

أم كيف يوصف بكنه من قرن الجليل طاعتهم - يعني بهم أئمة أهل البيت - بطاعة رسوله حيث قال: ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾[3].

وقال: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ**﴾[4].

وقال: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾[5].

وقال: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[6].

يا فتح، كما لا يوصف الجليل جلَّ جلاله والرسول والخليل وولدا البتول،

(١) سورة التوبة: ٧٤ .

(٢) سورة الأحزاب: ٦٦.

(٣) سورة النساء: ٥٩ .

(٤) سورة النساء: ٨٣ .

(٥) سورة النساء: ٥٨ .

(٦) سورة النحل: ٤٣ .

فكذلك لا يوصف المؤمن المسلم لأمرنا»[١].

وعرض هذا الحديث إلى الاستحالة في وصف الله بصفة تحكي واقعه وتلم بذاته، فذلك أمر ممتنع، وكذلك بالنسبة إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأوصيائه الأئمة المعصومين، بل حتى المؤمن المسلّم لأمر أهل البيت، فإن الإوصاف تقصر عن أن تلم بنزعاته الشريفة وصفاته الفاضلة.

٣- الزيارة الجامعة

أُثرت عن الإمام الهادي عليه السلام مجموعة من الزيارات الرائعة زار بها آباءه الأئمة الطاهرين عليهم السلام وهي مليئة بالاحتجاج على أحقية أهل البيت عليهم السلام بالخلافة الإسلامية، كما احتوت على وثائق مهمة من مآثرهم وفضائلهم ومناقبهم، ومن هذه الزيارات الزيارة الجامعة، حيث جاء فيها:

«... السلام على الدعاة إلى الله، والأدلاء على مرضاة الله، والمستقرين في أمر الله، والتامين في محبة الله، والمخلصين في توحيد الله، والمظهرين لأمر الله ونهيه، وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، ورحمة الله وبركاته)[٢].

لقد اقتبس الإمام عليه السلام قوله من قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[٣].

كذلك قوله عليه السلام: (أشهد أن لا أله إلا الله وحده لا شريك له، كما شهد الله لنفسه وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم)[٤].

وهنا اقتبس الإمام عليه السلام قوله من قوله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ**

(١) الإربلي/ كشف الغمة/ ٢/ ٢٨٦- ٢٨٧.

(٢) الصدوق/ من لا يحضره الفقيه/ ٢/ ٦٠٩ ، الطوسي/ تهذيب الأحكام/ ٦/ ٩٥.

(٣) سورة الأنبياء: ٢٦- ٢٧.

(٤) الصدوق/ من لا يحضره الفقيه/ ٢/ ٦٠٩ ، الطوسي/ تهذيب الأحكام/ ٦/ ٩٥.

﴿وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١].

وقوله: (وأشهد أن محمداً عبده المنتجب، ورسوله المرتضى، وأرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)[٢].

هنا اقتبس الإمام كلامه من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٣].

نتيجة البحث

١- أكد الإمام عليه السلام على ضرورة الرجوع إلى القرآن والتمسك به لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢- يبدو مما تقدم استظهار الإمام لكتاب الله تعالى وجعله نصب عينيه في تفسيره دلالياً بما يقطع التخاصم والنزاع سيما وإن إجابات الإمام غير قابلة للرد أو الجدل لأنها طبقت المفصل.

٣- تعددت المجالات التي يتضح فيها البعد القرآني لدى الإمام الهادي عليه السلام، حيث نجده في: إجاباته على المسائل، واستنباطه للأحكام، ومسائله الكلامية، وأدعيته، وزياراته.

(١) سورة آل عمران: ١٨.

(٢) الصدوق/ من لا يحضره الفقيه/ ٢/ ٦٠٩، الطوسي/ تهذيب الأحكام/ ٦/ ٩٥.

(٣) سورة التوبة: ٣٣.

مصادر البحث

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

١- الإربلي/ علي بن عيسى بن أبي الفتح(٦٩٣هـ)

كشف الغمة في معرفة الأئمة/ مطبعة النجف/ النجف الأشرف/ ١٣٥٨ه.

٢- باقر شريف القرشي

موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام/ الإمام علي الهادي عليه السلام/ تحقيق: مهدي باقر القرشي/ مطبعة نكارش/ ١٤٣٠هـ

٣- الحر العاملي/ محمد بن الحسن(١١٠٤هـ)

وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة/ دار إحياء التراث/ بيروت.

٤- ذبيح الله المحلاتي

مآثر الكبراء في تاريخ سامراء/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف.

٥- الرازي/ فخر الدين(٦٠٦هـ)

نهاية الإيجاز في دلالة الإعجاز/ / تحقيق: إبراهيم السامرائي ومحمد بركات حمدي/ دار الفكر للنشر والطباعة/ عمان/ ١٩٨٥م

٦- ابن شعبة/ الحسن بن علي الحرّاني الحلبي(من علماء القرن الرابع)

تحف العقول عن آل الرسول/ تحقيق: محمد صادق بحر العلوم/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٨٤هـ.

٧- شهاب الدين محمود الحلبي

حسن التوسل إلى صناعة الترسل/ تحقيق: أكرم عثمان يوسف/ دار الحرية/ بغداد/ ١٩٨٧م

٨- ابن شهر آشوب/ رشيد الدين(٥٨٨هـ)

مناقب آل أبي طالب/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٧٥هـ.

٩- الصدوق/ محمد بن علي بن الحسين(٣٨١هـ)

التوحيد/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٨٣هـ.
١٠-الصدوق/ سابق
عيون أخبار الرضا/ دار العلم/ قم/ ١٣٧٧هـ.
١١- الصدوق/ سابق
من لا يحضره الفقيه/ تحقيق السيد حسن الموسوي الخرساني/ مطبعة النجف/ النجف الأشرف/ ١٣٧٧هـ.
١٢- الطبرسي/ أحمد بن علي بن أبي طالب(٥٨٨هـ)
الاحتجاج/ دار النعمان/ النجف الأشرف/ ١٣٨٦هـ.
١٣- الطوسي/ أبو جعفر محمد بن الحسن(٦٤٠هـ)
الأمالي/ طبعة النجف الأشرف.
١٤- الطوسي/ سابق
تهذيب الأحكام/ تحقيق السيد حسن الموسوي الخرساني/ دار الكتب الإسلامية/ النجف الأشرف/ ١٣٧٧هـ.
١٥- الطوسي/ سابق
مصباح المتهجد/ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ ١٤١١هـ.
١٦- علي صدر الدين ابن معصوم المدني
أنوار الربيع في أنواع البديع/ / ط١ -النعمان/ النجف الأشرف/ ١٩٦٨م/ تحقيق: شاكر هادي شكر
١٧- العياشي/ أبو النضر محمد بن مسعود(٣٢٠هـ)
تفسير العياشي/ تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي/ المكتبة العلمية الإسلامية/ قم/ ١٣٧١هـ.
١٨- ابن فارس/ بن زكريا
معجم مقاييس اللغة/ تحقيق: عبد السلام هارون/ ط١/ دار إحياء الكتب

العربية/ القاهرة/ ١٣٦٦هـ.

١٩- الفراهيدي/ الخليل بن أحمد

العين/ تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي/ ط٢/ مؤسسة دار الهجرة/ ١٤١٠هـ

٢٠- القزويني/ جلال الدين

الإيضاح في علوم البلاغة/ / شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي/ ط٥- منشورات دار الكتاب اللبناني- بيروت/ ١٩٨٠م

٢١- الكليني/ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق(٣٢٩هـ)

الكافي/ تحقيق: علي أكبر الغفاري/ المطبعة الإسلامية/ طهران/ ١٣٨٨هـ.

٢٢- المجلسي/ محمد باقر(١١١١هـ)

بحار الأنوار/ دار الكتب الإسلامية/ طهران/ ١٣٨٦هـ.

٢٣- محمد حسن آل ياسين(١٤٢٧هـ)

الإمام علي بن محمد الهادي/ المطبعة العربية/ بيروت/ ٢٠٠١م.

٢٤- محمد حسين علي الصغير(معاصر)

موسوعة أهل البيت الحضارية/ الإمام علي الهادي عليه السلام/ مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر/ ١٤٢٩هـ.

٢٥- محمد عبده

شرح نهج البلاغة/ دار النهضة- بيروت

٢٦- هادي النجفي

موسوعة أحاديث أهل البيت/ ط١ ، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ.